الخطاب السياسي الإسلامي ومعضلة الدولة الحديثة

رفيق عبد السلام

ولد الخطاب الإسلامي الحديث مسكونا بهاجس إعادة بناء الدولة الإسلامية منذ بواكيره، وذلك بسبب الصدمة العنيفة التي ولدها الاجتياح الاستعماري الغربي، وما تبع ذلك من تفكيك متتال لأسس الإجماع الأهلي ومباني الشرعية التقليدية.

وقد جاءت صدمة إلغاء الخلافة العثمانية في تركيا سنة 1924 مشفوعة بإعلان علمانية الدولة ليدفع بالمشغل السياسي، وعلى رأس ذلك مطلب الدولة الإسلامية إلى صدارة أجندة تيار الإسلام المعاصر، وذلك خلافا للحركة الإحيائية الإسلامية للقرن التاسع عشر التي تركز مجهودها الأعظم على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من عرى الشرعية السياسية الإسلامية ممثلة في الكيان العثماني المنهك وقتها ومواجهة التهديد الغربي المتفاقم، كما هو شأن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وبقية تلاميذهما في الشرق والغرب الإسلاميين.

لم يكن غريبا أن تكون نشأة الحركة الإسلامية الحديثة في العالم العربي ممثلة في الإخوان المسلمين في مصر بقيادة الشهيد حسن البنا عام 1928 متزامنة مع إلغاء الكيان السياسي العثماني بعد تسلم كمال أتاتورك شؤون الحكم في العاصمة العثمانية، مضافا إلى ذلك تبلور رؤية نافية لصلة الدين بالسياسة ولوجود دولة في الإسلام أصلا كان قد انبعث بعضها من داخل المؤسسة التعليمية التقليدية أصلا.

فالكل يذكر الزوبعة الصاخبة التي أثارها كتاب علي عبد الرازق المعنون بالإسلام وأصول الحكم سواء داخل الأزهر الشريف أم في الأوساط الفكرية الإسلامية الواسعة، وما لحق ذلك من ردود واسعة هدف أغلبها إلى نقض قراءة علي عبد الرازق وتأكيد صلة الإسلام بالسياسة وشؤون الحكم.

ففي مواجهة هذه الموجة المتجهة إلى عزل الإسلام عن الشأن السياسي ومشاغل العصر نزع الخطاب الإسلامي الحديث إلى رفع شعار الدولة الإسلامية وإكسائها الفضائل الأخلاقية والسياسية بصورة غير مسبوقة، ولا ننسى هنا أن التيار السياسي الإسلامي الحديث ولد متأثرا بالثقافة السياسية السائدة في المنطقة وفي الساحة العالمية عامة، وهي ثقافة كانت في مجملها تتمركز حول التحديث السياسي والاقتصادي والاجتماعي عبر أدوات الدولة.

"
في مواجهة الموجة المتجهة إلى عزل الإسلام عن الشأن السياسي ومشاغل العصر نزع الخطاب الإسلامي الحديث إلى رفع شعار الدولة الإسلامية وإكسائها الفضائل الأخلاقية والسياسية بصورة غير مسبوقة
"